كما ان مقدمات « الجملة » العربية ــ وهي عادة جملة مركبة طويلة ــ لا تدل احيانا على نهايتها ، بحيث يمكن فصل اي جزء منها ، وأخذه على حدة والتدليل به على وجهة نظر معينة ، قد يكون الكاتب الاصلي يريد التدليل على عكسها . ونستطيع ان نذكر مثلا على ذلك بيت شعر معروف: « ألا أيها النوام ويحكمو هبوا ... أسائلكم هل يقتل الرجل الحب » . ان جرس الكلمات ، ورنتها ومضمون « صدر » البيت لا يوحي ابدا بأن الشاعر سينتهي بنا في « العجز » الى عاشق محبط ، يائس لدرجة أنه يتساءل عما يفعله الحب بالناس ، بعد أن كان متوقعا أنه سيدعو سامعيه وقارئيه الى خوض معركة او التهديد بها .

هذه بعض خصائص لغة الضاد . وهي خصائص لا تمثل في حد ذاتها عيبا في هذه اللغة . ولكن رجل الدعاية يستطيع ان يلعب على هذا الحبل حين يترجم من لغة الى أخرى : فحيث ان كل لغة لها تركيبها الخاص ، واصطلاحاتها ورموزها الخاصة، يكون من الصعب اعطاء نفس المعنى وبدقة تامة عند الترجمة من لغة لاخرى . وقد تتوفر قدرة كبيرة لقلة من المترجمين ممن يمتلكون ناصية اللغتين التي يترجمون منها والتي يترجمون اليها ، على تخطي مثل هذه العقبات . ولكن ما حاجة رجل الدعاية الى ذلك ؟ ان هذه نعمة هبطت عليه من السماء ، وعليه أن يستغلها فيما يريد من تشويه وتحريف في المعنى بالشكل الذي يحقق له الهدف المطلوب . ولذلك يجد رجل الدعاية في « سيولة » اللغة العربية ، وفي ميل ابنائها الناطقين والكاتبين بها الى الاطناب والمبالغة في التأكيد والوصف ، يجد في ذلك منبعا ثرا عند النقل الى اللغات الاخرى لتشويه المعنى على النحو الذي يهواه ، فقد يستطيع بنفس الالفاظ أن يختلق معنى جديدا غير المعنى الاصلي . ويأخذ المعنى المجازي ويقدمه على انه معنى لا خيال فيه ، وغير ذلك .

٢ ــ ان كل شعب من الشعوب تتولد عنده عادة حساسية خاصة تجاه بعض الالفاظ ، كما ان لكل شعب ظروفا حضارية وثقافية خاصة ، تشكل مفاهيمه العقلانية ، وأساليبه في مناقشة القضايا واستيعابها بشكل خاص . ومن المعروف ان الشعوب الاوربية ــ نتيجة لتجاربها الخاصة ــ لديها حساسية شديدة تجاه لفظ او كلمة «يهودي». مجرد نطق الكلمة يولد شكلا ما من اشكال ردود الفعل النفسية التي تعبر في حقيقتها عن التوتر والخوف والاحساس بالذنب والرغبة في التكفير . وخبراء الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية يدركون كل هذا ، ولذلك يسارع كل واحد منهم الى نقل اي تصريح عربي يتحدث عن « اليهود » دون ان يذكر الصهاينة أو الاسرائيليين [وان كان الداعية الصهيوني ــ الاسرائيلي يجعل هذه الالفاظ الثلاثة ذات معنى واحد ولا يقبل أي تفرقة بينها] وهو واثق ان مجرد ذكر هذا التصريح سيعطيه رد الفعل الذي يبغي خلقه وتكوينه فيمن يخاطبه . فما بالنا حين يقال للشخص المخاطب : انظر « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » !! وهم يرددون ذلك في صحفهم واذاعاتهم وبعظمة او عظام السنة قادتهم .

٣ ــ والذهن الغربي ــ بالمدلول العام والواسع لكلمة الغرب ــ يحمل صورة مشوهة عن العرب(٦٧)، لها خلفيات متعددة عاطفية وفكرية تعكس تجربة تاريخية عرفت الصراع والحرب والقتال ، ونتج عن ذلك عداء ظاهر او خفي، علني او كامن مستتر تأتي الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية لتوقظه وتستفزه قائلة ان « العرب يريدون القضاء على اسرائيل » لانها القلعة التي تحمي الثقافة الغربية وسط هذا العالم المتخلف ، وهي واحة الديمقراطية في عالم تحكمه وتتحكم فيه الدكتاتورية والحكومات العسكرية .. وما الى ذلك مما تعرف الصهيونية انه سيكسبها تأييد ومناصرة القوى التي تخاطبها.

●

لا شك ان العرب قد ألقوا ــ كعادتهم ــ قبل عدوان حزيران (يونيو) بسيل متدفق من الكلمات والبيانات والتصريحات والتهديدات . حملت جميعها قدرا هائلا من الحماس . وعبرت الكلمات والالفاظ عن أكثر مما كان مقصودا ومطلوبا ومستطاعا . من يسترجع صورة الجو العربي الذي ساد في تلك الايام ، يحس ــ كما سبق القول ــ بأنه كانت توجد « هيصة » ــ ولا أجد كلمة أدق في التعبير عما أريد من هذه الكلمة ــ اختلطت فيها أشياء كثيرة وعديدة ، وأخذت الاحداث برقاب بعضها ، وتدافعت الحوادث ، وظهر العرب وكأنهم مساقون الى طريق لا يعرفون نهايته ، لانهم لم يختاروها ولم يحددوها . كانت طبول العدو تدق وكنا نرقص على وقعها : تصريحات وبيانات ساخنة . كان سهلا في مثل هذا الجو ان يتفوه البعض بكلمات تقول أكثر